الدكتور عبد الغاني بن شعبان

تحليل الخطاب

عربي

سنة أولى ماستر قسم الترجمة

ABDELGHANI BENCHABANE

الدكتور عبد الغاني بن شعبان مادة تدريس الخطاب سنة أولى ماستر قسم الترجمة كليّة الآداب واللّغات جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

IV – نحو طفرة إبستمولوجية في تاريخ الإسلام
أو
ضرورة الخروج من الأدبيات البدعوية
(La littérature hérésiographique)

صالح : ولكن كلامك هذا يعني أنه لا يوجد إسلام واحد صحيح مصير أصحابه الجنّة وأنّ بقية الفرق الأخرى في النار. أقول ذلك وأنا أتذكّر ذلك الحديث الشهير الذي يقول: «أصل ما نحن بصدده ما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة، وافترقت على عيسى بن مريم باثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة. قالوا: وما تلك الواحدة يا رسول الله؟ قال: الإسلام وجماعتهم من كان مثل ما أنا وأنتم عليه».

أركون : بالطبع. هذا هو التصوّر الذي رسّخته الأدبيات البدعوية عن الأمور (المقصود كتب **الفرق الإسلامية**، كتب **الملل والنحل** العديدة). ومعظم الجهد الذي أقوم به الآن يتمثّل في تجاوز هذه الأدبيات والخروج من موقعها الإيديولوجي، الذي يخلع على نفسه غطاء الشرعية التيولوجية (أي اللاهوتية الإسلامية) دون أي حقّ أو برهان.

في المنظور الذي أفتتحه كدارس لتاريخ الفكر العربي ـ الإسلامي : كل الفرق والمذاهب متساوية في مزاعمها للسيطرة على الحقيقة الإسلامية، مع معرفتنا أنّ هذه الحقيقة لم تتجسّد كلياً في التاريخ إلّا لفترة قصيرة (في زمن النبي والخلفاء الراشدين). هذا يعني أنّ القول إن هناك حقيقة إسلامية مثالية وجوهرية مستمرة على مدار التاريخ وحتى اليوم ليس إلّا وهماً أسطورياً لا علاقة له بالحقيقة والواقع. بعد تلك الفترة الذهبية القصيرة بل وحتى قبل أن تنتهي، نحن نعرف كيف حصلت الفتنة الكبرى وكيف انقسم المسلمون إلى أشياع وفرق. وكيف راحت كل فرقة تزعم بأنها تمثّل وحدها الإسلام «الصحيح» دون غيرها. ثم راحت الأرثوذكسيات الكبرى تتشكّل تاريخياً عن طريق تأليف كتب الحديث أو «الصحاح»: أقصد الأرثوذكسية السنية، والأرثوذكسية الشيعية، والأرثوذكسية الخارجية. الإسلام في زمن النبي وخلفائه الأوائل لم يكن لا سنياً ولا شيعياً ولا خارجياً. هذه أشياء تشكّلت في ما بعد وضمن حمأة الصراعات والحروب الأهلية التي شهدتها المدنية الإسلامية. وقد شهدت المسيحية انقسامات من هذا النوع قبل الإسلام بوقت طويل. ينبغي ألّا ننسى ذلك.

ولكن لم تكتب حتى الآن أي **أطروحة جامعية تبيّن لنا العملية البطيئة والصعبة التي تمّ بها تشكّل الأرثوذكسيات الثلاث الكبرى في تاريخ الإسلام**. وإذا ما حصل ذلك فسوف تنزاح الغشاوات عن عيون الناس وتسقط الأوهام الكبرى الشائعة التي تملأ وعي المسلمين بخصوص تاريخهم. فهم يتوهّمون أنّ الإسلام السنّي أو الشيعي كان موجوداً منذ البداية وعلى مستوى لحظة القرآن والخطاب القرآني. ولكن ذلك ليس إلاّ وهماً وسراباً. **هنا تنقصنا المنهجية التاريخية بشكل موجع، ولهذا السبب بالذات ألحّ على القول إنّي مؤرّخ قبل أن أكون فيلسوفاً**. وينبغي على المؤرّخ أن يموضع كل هذه الفرق على مسافة نقدية متساوية منه. فإذا كانت أغلبية المسلمين في بلدٍ أو منطقة ما من هذا المذهب أو ذاك فرضت نفسها وكأنها الإسلام «الصحيح» وقمعت كل ما عداها. هذا ما حصل في التاريخ فعلياً. أنا لا أخترع شيئاً ولا أكتشف شيئاً إذ أقول ذلك. ولكني كمؤرّخ نقدي يفتح عينيه جيداً لن أصدّق هذا الزعم، لأني لو صدّقته لبطلت أن أكون مؤرخاً أو باحثاً، ولأصبحت عقائدياً متحيزاً. ينبغي بهذا الصدد أن **نتجنّب عملية الخلط بين الحقيقة السوسيولوجية أي المؤسَّسة على رأي العدد الأكبر من الناس وضغط العدد الأكبر من الناس، وبين الحقيقة الحقيقية**. أقصد بالحقيقة الحقيقية: **إنبثاق بدهية ما داخل الروح عن طريق المقارعة والمجابهة التي تخوضها الروح مع معطيات الواقع**.

قالها بالفرنسية على الشكل التالي وشدّد على كل كلمة:

(La vérité est: le surgissement d'une évidence à l'intérieur de l'esprit par la confrontation de l'esprit avec les données du réel).

فالروح تناضل وتجاهد مع الواقع وضد الواقع من أجل أن تسبر الواقع على حقيقته. والواقع هنا يمكن أن يكون التاريخ، ويمكن أن يكون هزّة أرضية تكتسح منطقة بأسرها. والروح سوف تُناضل أولاً من أجل فهم أسباب الهزّة الأرضية وأصلها (ومن هنا ينتج علم الزلازل). ثم تناضل ثانياً من أجل تلافيها في المرات القادمة ومن أجل مواساة الناس المصابين. وعندما نناضل ضد النتائج المأساوية للهزّة الأرضية فلا توجد طريقة شيعية للقيام بذلك ولا طريقة سنية، ولا طريقة مسيحية، ولا يهودية. توجد طريقة واحدة للجميع هي: **الطريقة العلمية والتقنية**. وهذه الطريقة التقنية تقع ضمن دائرة مسؤولية الروح الإنسانية (أي الإنسان)..

أنا أفعل الشيء نفسه عندما أحاول دراسة تاريخ مجتمع ما، أو تراث فكري ما. فأنا أنظر إلى مجموع الأحداث كما حصلت في التاريخ بالضبط، وأراقبها كما يراقب العالم الجيولوجي الهزّة الأرضية. بمعنى آخر، فإني لا أسقط عليها عواطفي وميولي،

وإنما أتركها تتكلّم بحرّية قبل أن أتدخّل بأي شكل. وهذا العمل يمثّل الموقف الكلي المستقل للروح تجاه الضغوط العارضة التي تضغط عليها وتحاول خنقها. وهذا الموقف المستقلّ للروح الباحثة من الصعب جداً على الإنسان أن يتوصّل إليه، أو أن يمتلكه ويفتتحه. إنه يتطلّب نضالاً طويلاً ومريراً للذات ضد الذات. كما ويتطلّب التمرين على المنهجيات وكيفية استخدام المفاهيم والأدوات السائدة في مختلف العلوم. وكل أولئك الذين لم يفتتحوا هذا الموقف المستقلّ أو بعضه سوف يستمرون في فهم الأمور والتعامل معها داخل الدائرة الإيديولوجية الخاصة بفئة اجتماعية ما ومصالح هذه الفئة سواء أكانت طائفة أم قومية أم عنصراً، الخ. وسوف يظلون مرتبطين بإرادة سلطوية وتوسّعية ما، وسوف يرفضون كل من لا يخضع لإرادة القوة هذه أو لتلك الإيديولوجيا. وهذا ما يجري لنا اليوم بالضبط داخل مجال الإسلام. وهذا ما جرى منذ أن كانت الظاهرة القرآنية قد دخلت على مسرح التاريخ. فالظاهرة القرآنية لم تقدّم حلولاً واضحة وقاطعة لكل المشاكل. والأسلوب المجازي يغلب على الخطاب القرآني كما يغلب على بنية اللغة الدينية بشكل عام. الخطاب القرآني أعلن مجموعة من الأشياء التي تتطلّب التفسير والتأويل. وهذه التفسيرات والتأويلات تمت، كما قلت سابقاً، ولا تزال تتمّ ضمن ظروف إيديولوجية، وضمن صراعات فئوية وطبقية يزخر بها كل مجتمع من المجتمعات البشرية. هناك صراعات على السلطة والمال والأرزاق، ثم من أجل احتلال المراتب العليا في الهرم الديني، الخ...

لهذا السبب بالذات ألحّ على ضرورة اتّباع المنهجية التاريخية قبل أي شيء آخر. ينبغي أن نعلم ما حصل في التاريخ وفي المجتمعات الإسلامية، وأن نعترف بحقيقة ما حصل لا أن ننكره ونتعامى عنه. هكذا تجد أن المنهجية التاريخية الحديثة تتّخذ مكانة محورية في مشروعي العام: نقد العقل الإسلامي.

النصّ

النصّ السابق المعروض على الطلبة للتحليل للتطبيق في تحليل الخطاب مأخوذ من كتاب محمّد أركون الموسوم بـــ "الفكر الإسلامي _نقد واجتهاد_ ترجمه وعلق عليه المفكر والمترجم السوري الذي يحسب على التيار التنويري هاشم صالح قامت بنشره وتوزيعه شركة لافوميك-المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر.

الكتاب تحدّث فيه الكاتب الجزائري المحسوب على التيّار العلماني في دراسة تاريخ الأديان، عن محاور مختلفة يذكر منها حديثه عن مهام المثقف المسلم أو العربي والدور المنتظر منه، كما ركز بشكل واضح على المعرفة العلميّة عن الإسلام في الغرب وعن علاقة الإسلام بالعلم. تحدّث كذلك عن الحركات الإسلامية ليركز على الحركة الصوفيّة. ومن بين المواضيع الهامّة التي يطرحها الكتاب كذلك تجلي مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي. ليختم الكتاب بحوار مطوّل مع المترجم في مجالات عدّة ترتبط بالفكر.

النصّ الذي بين أيدينا عنوانه "نحو طفرة ابستمولوجية في تاريخ الإسلام أو ضرورة الخروج من الأدبيّات البدعوية" ص242. هو جزء من الحوار الذي أجراه المترجم هاشم صالح مع محمّد أركون في آخر الكتاب.

سير ورة الدرس:

تطرح مجموعة أسئلة لمساعدة الطلبة على تحليل النص وإعادة كتابته. هذه الأسئلة لها ارتباط بمعطيات سبق وأن أخذها الطلبة نظريا لها علاقة بتحليل الخطاب والدراسة البلاغية والأسلوبيّة.

الأسئلة:

ما هو البعد أو الغرض البلاغي للنصّ؟

ما هو السؤال الرئيس الذي يحاول هذا النصّ الإجابة عنه؟

كيف يتفرّع هذا السؤال الرئيس إلى أسئلة فرعيّة؟

وقد جاءت محاولات الطلبة كالآتي. مع الشكر الخاص للطالبة مرجة ملاك حيث اتبعت الخطوات بشكل دقيق. كذلك أغلبيّة الطلبة لم يضعوا عنوانا لمقالهم المنجز ما عدا سندس وهو محسوب لها كذلك.

مرجة فاطمة ملاك

تحليل مقال نحو طفرة إبستمولوجية في تاريخ الإسلام او ضرورة الخروج من الأدبيات البدعوية

للكاتب محمد أركون

البعد البلاغي التداولي للنص المدروس: فكري تعليمي يخاطب العقل

السؤال الرئيس الذي يجيب عنه النص: إلى أي مدى تساهم وتؤثر المنهجية التاريخية على معرفة تاريخ الإسلام الصحيح وتجاوز التصورات السائدة؟

كيف يتم تفريع هذا السؤال الى أسئلة فرعية:

كيف أثّر التصوّر الرّاسخ عن الأدبيات البدعوية وعن الإسلام على الناس بشكل ملحوظ منذ القدم؟

هل حقا يمكن القول إنه توجد حقيقة مثالية إسلامية؟

متى تشكلت الأرثوذكسيات الكبرى؟ ولماذا لَمْ يكتب الى الآن أي مؤرخ عن كيفية تشكل هذه الأخيرة؟

لماذا يرى أركون أن دراسة التاريخ تكون قائمة على طريقة علمية مرجعية بعيدة عن العاطفة والرأي الشخصي؟

ما هو السبب الذي يجعل الخطاب القرآني تحت عارضة ضغوطات وصراعات طبقية؟

هل حقيقة إتباع منهجية تاريخية لدراسة ومعرفة ما حصل في الإسلام ضرورية إلى ذلك المدى؟

عالج الدكتور أركون في مقاله إشكالية تتمحور حول كيفية ترسيخ المنهجية التاريخية في الفكر الإسلامي الذي من شأنه إلغاء كافة التّعصبات العرقية والمنهجية باتباع بعد بلاغي فكري تعليمي يخاطب العقل بالدرجة الأولى.

يرى محمد أركون أن مهمته إن صح التعبير تتمثل في السيطرة على التصور الراسخ وتجاوز ما يقال على أنه توجد حقيقة إسلامية واحدة تُدخل أصحابها الجنة مستدلا بقوله إنه لا يوجد برهان على ما ذكره السابقون، حيث يؤكد على أن الإسلام الحقيقي تجسد فقط في زمن الأنبياء والخلفاء ومع انتهاء عصرهم توالت الفتن والحروب

والصراعات فانقسموا على إثرها إلى طوائف، كل فرقة راحت تَزعم بأنها تُمثل وحدها الإسلام الصحيح ومن هنا تشكلت الأرثوذوكسيات الكبرى في تاريخ الإسلام. فأركون يتأسف لأنه لم تكتب إلى الآن أية أطروحة جامعية تبين لنا العملية البطيئة والصعبة التي تم بها تشكل هاته الأرثوذوكسيات، ففي نظره أنه إذا ما تم ذلك ستنزاح الغشاوات عن عيون الناس وتسقط الأوهام الشائعة التي تملأ وعي المسلمين بخصوص تاريخهم بتوهمهم أن الإسلام الشيعي والسّني كان موجودا منذ بداية نزول القرآن ، وقد ركز أركون على أهمية المنهجية التاريخية وتجنب عملية الخلط بين الحقيقة السوسيولوجية التي تعتمد على رأي العدد الأكبر من الناس وبين الحقيقة التي تخوضها الروح مع معطيات الواقع من أجل أن تسبر الواقع على حقيقته.

وهذا النضال ضد النتائج المأساوية لا تتبناه طريقة سنية أو شيعية للقيام بذلك وإنما توجد طريقة واحدة للجميع ألا وهي الطريقة العلمية التقنية التي تقع ضمن مسؤولية الروح الإنسانية حيث أقر بأنه يفعل الأمر ذاته حين محاولة دراسته لتاريخ مجتمع ما أو تراث فكري ما فلا يسقط عليها لا عواطفه ولا ميولاته ولا يتدخل بأي شيء وبالتالي استقلالية الروح تجاه الضغوط العارضة فالموقف المستقل للروح الباحثة من الصعب جدا على الإنسان أن يتوصل إليه إلا بالنضال الطويل والمرير للذات ضد الذات والتمرن على مختلف المنهجيات والمفاهيم والأدوات السائدة في مختلف العلوم. أما من كان عكس التفتح على هذا الموقف المستقل سوف يستمر فبي فهم الأمور والتعامل معها في إطار الإيديولوجيات ومرتبطين بإرادة سلطوية وتوسعية معينة وهذا ما يجري اليوم داخل مجال الإسلام فالخطاب القرآني حسبه مازال تحت عارضة التفسيرات والتأويلات ضمن صراعات فئوية وطبقية من أجل احتلال المراتب العليا في الهرم الديني.

وختم محمد أركون بضرورة إتباع المنهجية التاريخية قبل أي شيء آخر وأن نعلم ما حصل في التاريخ والمجتمعات الإسلامية والاعتراف وعدم نكران ما حدث بوضعها على محك الفهم العلمي.

سارة جونيي

الكاتب محمد أركون مفكر جزائري، وجه معروف في المحافل والأروقة العلمية، علماني له منهج نقدي تجاه الدين ولاسيما في بعده الاسلامي. على أساس نقد تاريخية العقلانية الاسلامية في اطار البحث عن أسباب وعلل انحطاط وتخلف العالم الإسلامي. والنص الفكري الماثل أمامنا، مقتطف مقابلة أجراها مترجم النص هاشم صالح مع محمد أركون، يدعو فيها أركون الى معرفة علمية لتاريخ الاسلام ويثير نهضة تتأتى ألباب كلّ من حاول قراءة فكر علماني. طرح أركون اشكالية بيان ماهية الاسلام. فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي ظلّ الصّراعات نحو

السلطة التي استندت في ذلك الوقت على الدين الذي كان يمثل الحقيقة المطلقة التي تفرض نفسها على الجميع، ظهرت طوائف عديد، رسّخها مؤرّخو البدع، تدعي أنها اسلامية وأن اسلامها او اسلام كل منها وحده الصحيح وأخذ الوعي بالاسلام الصحيح يمحى ويذوب في أحشاء الوعي الاسطوري، حيث اختلط الجانب التاريخي الواقعي بالجانب التقديسي المضخم الى حد أصبح متعذرا الفصل أو التمييز بينهما. فالعقل البشري المكلف بتوصيل معنى التراث الحي (الحقيقة) أصبح خادما و سيدا في آن، فذهب هذا التراث يغطى ويحجب عن طريق سطوع الصراعات الأيديولوجية. فانتهت رحلة الدين وبدأت رحلة الأساطير والبدع ومعها القيود. لذلك يدعو أركون أولا وقبل كل شيء الى تحرير الفكر من الأساطير والبدع التي فرضها "الانتهازيون" وخضع لها المؤرخون. وهنا يأتي لدى المفكّر دور المؤرخ عامة والباحث خاصة في تعرية الأوهام الباطلة وكشف كلّ أيديولوجيات التبرير والتسويغ. ويسطر المفكر للباحث وبحثه ظوابط رغم أنها صعبة المنال تكون بالانفتاح على البحث بطريقة علمية، موضوعية واتباع منهجية نقدية تاريخية، تنظر للتاريخ بعين عالم اجتماع تاريخي مستقل وليس بعين عقائدي، متحيز، ايديولوجي. فالعقل البشري في كينونته قادر على انتاج الحقيقة التي تلوج داخله باستقلالية كاملة وعلى تجاوز السياج الدوغمائي الذي يضع حدودا له. كذلك يوجه اركون الى رؤية القرآن بعيون جديدة، فالمنهج التأويلي كفاية ما طغى على الخطاب القرآني ونستطيع بذلك تشكيل لاهوت جديد يحلّ محل اللاهوت القديم الغادق بالمسلمات ويحده ذلك السياج الذي شلّ كلّ تقدّم يحول بين المسلمين وبين التصالح مع الحداثة. فعلى الباحثين النهوض بالفكر الديني. إنّ البحث عن الحقيقة التاريخية وسبر أغوار الماضي دأب كلّ انسان عامة، وكلّ مؤرّخ باحث خاصة، منذ وجد وقد تيقن أركون أنه لا يمكن التوصّل لهذه الحقيقة إلاّ من خلال منهج علميّ تاريخيّ لا يخلو من النقد.

بلقاسم هبة

هذا النص بعنوان "نحو طفرة إبستمولوجية في تاريخ الإسلام أو ضرورة الخروج من الأدبيات البدعوية"، عبارة عن الجزء الرابع من فصل "الحلقة الأولى" من كتاب "الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد" للمفكر والمؤرخ الجزائري محمد أركون والذي نشرته دار الساقي للطباعة والنشر سنة 2012. هذا المقطع يظهر أنه تفريغ صوتي لحوار مطوّل أجراه المترجم هاشم صالح مع محمد أركون لتوضيح بعض النقاط التي أثارت جدلا بعد ترجمة أعماله. "نحو طفرة إبستمولوجية في تاريخ الإسلام أو ضرورة الخروج من الأدبيات البدعوية"، نص فكري تعليمي يقدم فيه المؤرخ كيفية دراسة التاريخ الإسلامي دراسة نقدية سليمة للخروج بالحقائق بعيدا عن الانغماس في الأرثوذكسيات التقليدية.

يجيب أركون على سؤال صالح ويؤكد على ما سبق وذكره في "الحلقة الفلسفية" قائلا إنه لا وجود لفهم واحد صحيح للإسلام ولا لطائفة واحدة ناجية منصورة أي الوحيدة التي تملك الشرعية، فكل الطوائف متساوية. إذ جاء اجتهاد أركون الفكري انتقادا للنصوص المبتدعة وكتب العقيدة لأنها من منطلقات عصبية وليست علمية فكرية فينظر إليها بالمجمل لأن كل منها تدعي الحقيقة باسم الله والتمثيل الرسمي له دون سند علمي أو واقعي. ويذهب إلى أبعد من ذلك في نقده، إذ يقر بأن الحقيقة الإسلامية تجسدت لفترة قصيرة أي زمن النبي والخلفاء الراشدين فقط. أما ما يخص المذاهب الإسلامية فكلها سواء أي تدرك جزء من الحقيقة لا غير. فالحقيقة الإسلامية الكاملة قد ضاعت جراء الفتنة الكبرى ونتيجة لها تشتت المسلمون الى فرق ومنه لم يكن يحمل الإسلام اسم أي طائفة.

وعلى هذا الأساس، أشار أركون الى عدم وجود دراسة أكاديمية متفحصة تبين أصل تشكل هذه الفرق وتدحض المغالطات التي ترسخت في وعي المسلمين من قبيل أن الإسلام السني او الشيعي موجود منذ البداية. وما أدى إلى تلك الأضرار التي تمس الحقائق في التاريخ الإسلامي هو الانجراف وراء الأغلبية، وبما أن أركون مؤرخ قبل أن يكون فيلسوفا، راح يدعو الباحثين والمؤرخين إلى التمتع بموقف مستقل (مع إقراره بصعوبة ذلك) فمن لا يملك هذه الصفة يبق حبيس أديولوجية ما وتابعها. فهذا الموقف المستقل لا يتأتى إلا بعدم الخلط بين الحقيقة على أساس ضغط الأغلبية والحقيقة الحقيقية وبعبارة أخرى: الفصل بين الظاهرة الإسلامية والظاهرة القرآنية [يفرق أركون بين الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية، إذ الأولى تبقى مفتوحة على جميع الدلالات والمعاني، مفتوحة على المطلق بينما تكون الثانية تاريخية بشكل تام. فالظاهرة الإسلامية إن هي إلا تجسيم لأحد خطوط المعنى المتضمنة في الظاهرة القرآنية وليست تجسيدا كليا لها لأنها تعتمد على الوسائط البشرية (الفقهاء/المتكلمون). والظاهرة الإسلامية ظاهرة تاريخية لأنها بنيت على خطوط مختلفة للمعنى كالخط السني والخط الشيعي والخط الخارجي بكل تنويعاتها وكلها حاولت أن توهم بامتلاكها المشروعية الدينية المتعالية في حين هي في الواقع حركات سياسية أو لاهوتية سياسية. تأويل التاريخ العربي. محمد الخراط. المركز الثقافي العربي. 2013/05/20.]. فأشار في هذا الصدد إلى إشكالية التعامل مع النص القرآني بصفته نصا منفتح الدلالة يقبل احتمالات وتفسيرات متعددة عكس باقي أنواع النصوص وبالتالي تظهر تأويلات مختلفة على أساس ذاتي [وفي تعريف الحقيقة، يظهر من صياغة الجملة وإرفاقها بالجملة الفرنسية الأصلية أن المترجم قد واجه صعوبة في ترجمتها لذلك اجتهدت في البحث عن ترجمة أنسب وأوضح وهي: "الحقيقة هي ما يستنتجه العقل نتيجة مواجهته لمعطيات الواقع". فكلمة evidence تعني الحقيقة وليست البديهة لأن الحقيقة قد لا تكون أمرا جليا أما لفظة esprit فتعني العقل وليس الروح وهذا على أساس أن الحقيقة "التاريخية"

تنم من فكر بشري بمواجهة الواقع وهذا ما يدعو إليه أركون بالفعل؛ أي التنوير الإسلامي من خلال تعاطي القضايا الإيمانية واللاهوتية بمنطلق علمي وهذا حسب ما صرح به محمد أركون في مقابلة له في حصة إضاءات مع المقدم تركي الدخيل].

ولهذا طرح أركون طريقة من خلالها يمكن دراسة تاريخ أي مجتمع والوصول للحقيقة الموضوعية وهي الطريقة العلمية والتقنية حيث لا علاقة للدين باستخلاص حقائق الواقع. فهذه الطريقة في المجال التاريخي أي المنهجية التاريخية تكون عبر مراقبة الأحداث كما حصلت دون تحيز عاطفي وعلى الباحث أن يستمر ويصبر في عمله وكذا أن يتمرن على المنهجيات واستخدام المفاهيم والأدوات، وعليه اعتمدها محورا في مشروعه ألا وهو نقد الفكر الإسلامي[يهدف أركون من خلال هذا المشروع إلى إظهار العوامل التاريخية و السوسيولوجية و السياسية و الاجتماعية التي أدت الى ممارسة العقل في الساحة الإسلامية و العربية و جعلته يزدهر و ينجح في استغلال التراث الفكري و العلمي و إضافة إبداعات عديدة لهذا الفكر في هذه القرون المزدهرة أي قبل القرن الثالث عشر و كذا أسباب توقف و انسحاب و انحصار هذا الفكر في الساحات العلمية. المقابلة نفسها].

مغار بلقيس

محمد أركون هو باحث ومؤرخ ومفكر جزائري أحد كبار الشخصيات البارزة في علم الإسلاميات المعاصر. يضع محمد أركون القرآن الكريم في مواجهة الصيغ النظرية للفكر الحديث هادفا من ذلك إنشاء رؤية نقدية في ميادين العلوم الإنسانية، مما يتجاوز التفاسير المتداولة على ضوء ذلك يمكن القول بأن ما في الكتاب مساهمة تجديد من محمد أركون في مجال الفكر العربي والإسلامي ركيزتها الفحص والنقد وسبر أغوار الحدث في مساره التاريخي وعلى ضوء معطيات معاصرة.

نجد محمد أركون في نصه هذا يقول عن نفسه انه مؤرخ أولا لذلك نجد النظرة العلمية تطغى عليه إذ انه شبه دراسته للتاريخ كدراسة عالم جيولوجي لهزة أرضية أي أن يبقى حيادي لا عربي ولا أعجمي لا مسلم ولا مسيحي. وأيضا وجوده في الحيز الثقافي الغربي خلق حافز الهوية لدية لذا اهتم بتبيان موقع الإسلام من الفكر الإنساني.

ذكر أركون في جزئه هذا من الكتاب (الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد) أنّ كلّ هذه الانقسامات في الإسلام لم تتشكل في زمن النبي والخلفاء الراشدين بل تشكلت بعد ذلك ضمن الصراعات والانقسامات والحروب الأهلية

التي عرفها العرب المسلمون. ولحد الآن لم يطرح أي نصّ يبين كيف تشكلت تلك الأرثوذوكسيات وإلا لانزاح الغموض للمسلمين ولعرفوا تاريخهم ودينهم. ويشدّد أركون على ضرورة إتباع المناهج التاريخية لا الدينية ولا العقائدية أثناء محاولة فهم تاريخ وحقائق عقيدة ما أو فرقة معينة، وهنا سنلاحظ نقص تلك المناهج إذ أنهم توهموا أن الإسلام شيعي أو سنّي، فهل إذا استعملنا ذلك النوع من المناهج هل سيتبين لنا أي الإسلام الصحيح؟ أم ستبقى كل فرقة متعصبة بإيمانها وفكرها؟

تحميد ملسعودة

يتداول المؤرخ محمد أركون هذا النص المقتبس من كتابه" الفكر الإسلامي –نقد واجتهاد–" لغرض بلاغي يهدف إلى إثارة العقل الإنساني، وإضفاء لمسة تعليمية، فلسفية عليه من خلال محاورته مع الكاتب والمفكر هاشم صالح التي دارت أساسا حول صراع الإيديولوجيات بغية معرفة ماهية التاريخ الإسلامي عن طريق إتباع الطوائف أو معطيات الواقع الراهنة، حيث دعا محمد أركون إلى الحاجة الملّحة للابتعاد عن كل تصور أدبي بدعوي.

حسب محمد أركون فإنّ دراسة التاريخ تتم عن طريق إتباع الطريقة العلمية التقنية وللتمكن منها حقيقة دعا إلى ضرورة الابتعاد عن التصورات البدعوية التي عرفها بكتب الفرق الإسلامية وكتب الملل والنحل التي تؤدي إلى الطائفية والانقسام ومنه يدعي كل واحد منها بتمثيل الإسلام الحقّ .لكنه أقر بعكس ذلك فالفترة الجوهرية التي مثلت الإسلام في نظره كانت وجيزة تقتصر على زمن النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين لا غير وما بعدها عبارة عن أوهام تظلّ الحقيقة، حيث أن فكرة الأرثوذكسيات الثلاث التي طالما اعتقد الكثير بأنها وجدت منذ البداية، لهذا السبب لم يجرؤ أحدٌ قط على البحث في مراحل تطورها، فيساهم بذلك في إفشاء الحقيقة ما ينقص هنا هو التعقب التاريخي لذلك الزمن؛ فلا ينبغي على الباحث النقدي أن يصدّق كلّ شيء بل لا بدّ أن يبحث ويشكّك في كلّ الحقائق التي يستقبلها وإلاّ لا يصحّ أن يطلق عليه اسم ناقد.

كذلك دعا إلى البحث شرطَ تجنب الخلط بين ما تعتقده الأغلبية وما يمليه الواقع المعاش، فهذا ما ينتج عنه صراع الشخص مع الآخرين ومعطيات الواقع أو حتّى مع نفسه ولتجنب هذا الصراع خلال البحث عن أي حقيقة كانت لابد من إتباع الطريقة العلمية التقنية التي تقوم على الملاحظة العقلية ثم المراقبة مع ترك الظاهرة تحدث طبيعيا دون التدخل. لكن هذه المنهجية بسبب صعوبتها لا يستطيع الجميع بلوغها دون المرور بمرحلة نضال الذات مع الذات وهي أصعب مرحلة.

كما أنه لا يمكن إنكار دور التطبيق في أي منهج علمي واستعمال المتاح من الأفكار والوسائل، حيث اختتم محمد أركون حواره بإعطاء مثال عن الظاهرة القرآنية التي تحتاج إلى تفسيرات وتأويلات بسبب غلبة الطابع المجازي عليها؛ كلّ يفسّرها على هواه في ظلّ الانقسامات الطائفيّة لهذا دعا إسقاط المنهج التاريخي العلمي عليها كذلك.

الهيدباني هيام

النص الذي بين أيدينا المجموع بين دفتي كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي " للكاتب والمفكر الجزائري محمد أركون الذي ينطلق في دراسته من منظور علماني من حيث دراسة المجتمع الإسلامي فموقفه لم يكن كسابقيه من حيث الطرح العلمي بل تجاوزه الى البحث في الجذور والمكونات المعرفية ومختلف القطائع التي صاحبت واطرت هذا الفكر على مدار قرون من الزمن مستعينا في ذلك بأحدث ما وفرته ادوات المعرفة العلمية الابستيمولوجية والنظرية بما أسماه "علوم الإنسان و المجتمع" محاولا تطبيقيها على المجتمع الإسلامي من أجل تقديم فهم أعمق وأشمل لملامح هذا المجتمع وبنيته ضمن الإطار الانطولوجي التاريخي أي "تاريخية الفكر ". تطلبت دراسته نوعا من الشجاعة الفكرية والمرونة المنطقية التي عرضته للمساءلة السجالية.

في نصه هذا الذي بين أيدينا مع المترجم السوري هاشم صالح ينطلق فيه فحوى الحوار من موقف محمد اركون بأن الإسلام الذي جاء بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يشوبه بعض الزيف بسبب التلاعبات البشرية التي مسته، وأكبرها الفتنة الكبرى بمقتل الخليفة عثمان بن عفان مسببتا نزاعا مذهبيا بين المسلمين وبداية تشكل الأرثوذوكسيات حيث وضف محمد اركون هذا المصطلح بسبب اصل تسميته اورثو وتعني الصحيح ودوكسيا العقيدة أي بما معناه العقيدة الصحيحة حيث زعمت كّل فرقة أنها تحمل العقيدة الإسلامية الصحيحة وتفرض سلطتها ونفوذها بالرغم من عدم وجود أي مرجع ودراسة تاريخية لها ولا تزال لحدّ السّاعة مبهمة إلاّ أن كل منها تزعم أنها الأصح ومناصريها هم شعب الله المختار.

واصل محمد اركون نقده حيث وصف واستعان بمثال الزلزال بطريقة واضحة من أجل تعزيز موقفه وإيصال فكرته فعند وقوعه يقوم العالم الجيولوجي بدراسة اسبابه ونتائجه بطريقة علمية. وتقنية وليس بإسناده الى ديانة ما أو طائفة معينة هكذا بالضبط تكون عملية دراسة تاريخ مجتمع ما اي يدرسها بطريقة موضوعية.

واستعمال الخطاب القرآني ايضا كان له نصيب في مناقشته حيث اعاب على الطوائف التي اخذت تفسر القران الكريم حسب مصالحها وذلك لفرض سيطرتها ومن أجل مصالحها الشخصية وبلوغ مناصب عليا في الهرم الديني، والح في آخر نقاشه على أهمية المنهجية التاريخية في دراسة تاريخ مجتمع ما خصوصا الاسلامي وذلك لقطع الشك باليقين ولإزاحة الغشاوة واللبس ولكتابة تاريخ نزيه بعيدا عن الأدبيات البدعوية.

مروة مدفوني

في ظل الانقسام الذي يشهده واقع العالم الإسلامي إلى مذاهب وفرق مختلفة كلّ يحاول من خلالها إثبات صحة آرائه ونفي ما دونها، كان من الضروري المضي في دراسات تحليلية ونقدية موضوعية لهذه المذاهب وتتبع تاريخي لنشأتها ومراحل تطورها بغية التوصل لحقيقتها الفعلية.

إن النص الذي بين أيدينا هو نص فكري حجاجي يجيب عن التساؤل المطروح حول حقيقة المذاهب والفرق الإسلامية، ويناقش دور المنجية التاريخية في دراسة هذه الحقيقة وفي نقد الفكر الإسلامي بشكل عام من وجهة نظر المفكر والباحث محمد أركون بأسلوبه وقراءته التحليلية النقدية الذي يهدف من خلالها إلى تجاوز مسلمات التفكير والتفسير التقليدية، حيث يتميز بجرأته وتميزه في النقد الموضوعي للفكر الإسلامي بعيدا عن التفاسير الموروثة بلغة ومصطلحات فكرية وفلسفية بعيدة عن الذاتية والميول الشخصي.

لتنتج عن السّؤال الرّئيس العديد من الأسئلة الفرعية حول صحة وجود مذهب واحد صحيح في الإسلام ومدى تجسد الحقيقة الإسلامية في التاريخ وكذا تاريخ تشكل هذه المذاهب؛ حيث يرى أركون بأن المذاهب الإسلامية جميعها تسعى وراء وهم تميّز كلّ واحد منهم بإتباعه هو وحده دون سواه للإسلام الحق وتجسيده، وهو أمر باطل بدليل أن الحقيقة الإسلامية لم تكن سوى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لتندثر وتختفي كليا بانتهاء عصرهم حيث تشتت المسلمون آنذاك إلى مذاهب مختلفة متعصبة لمنهجها وإسلامها مؤمنة بصحته كافرة بما دونه من المذاهب وهو ما شهدته المسيحية من قبل أيضا، هذا ولا تزال غشاوة الجهل والوهم تغطي حقيقة أكبر هذه المذاهب وتاريخها وذلك راجع لقلة لندرة البحث الموضوعي فيها بل وانعدامه.

وهنا يجيب أركون عن تساؤلات فرعية أخرى تتعلق بالمنهج الصحيح للبحث عن حقيقة هذه المذاهب والطريقة التي يتوصل من خلالها الباحث والإنسان بشكل عام إلى الموقف المستقل للروح الباحثة ونضالها ضد القيود التي تواجهها في رحلتها البحثية المستقلة، حيث يعتقد بأن ما يتطلّبه العالم الإسلامي فيما يخص هذه القضية هو

دراسة تاريخية نقدية لهذه الفرق لإزالة الغموض الذي يعتريها والتوصّل لحقيقة تخلو من المزاعم والعقائد المتحيزة التي يتخبط فيها المسلمون، حقيقة واقعية بحتة منبثقة من مناقشة الروح لما تلاحظه من بيانات واقعية ونقدها، تلك هي الحقيقة الحقيقية لا الحقيقة المجتمعية المزعومة والمتعارف عليها اعتباطيا؛ ذلك أن الروح تسعى للغوص في دراسة الواقع المتعارف عليه تاريخياً بغية التوصل للواقع الحقيقي معتمدة في ذلك على وسيلة واحدة هي الطريقة العلمية والتقنية البحتة الخالية من أي تدخل شخصي أو ميولي بهدف تجاوز القيود التي تخنق السعي المستقل للروح الباحثة لبلوغ الحقيقة، وهذا هو الصراع الحقيقي الذي يتطلّب روحاً مناضلة تسير وفق منهجيّة علميّة موضوعيّة، وما لم يبلغ الإنسان هذه الاستقلالية في الرأي والحكم على الأمور فسيظل حبيساً، وخاضعاً، ومسيراً من قبل سلطة ما رافضا لكل ما يخالفها. وهذا ما وقع فيه العالم الإسلامي في معالجة بعض المسائل العويصة لتي لم يقدم لها الخطاب القرآني حلولا واضحة فكانت تلك الحلول بحاجة لتفسيرات وتوضيحات خضعت لقيود وصراعات بشرية مختلفة تهدف من خلالها كلّ فرقة للسيطرة الدينيّة.

ليختتم محمد أركون نقاشه بالتأكيد على دور المنهجية التاريخية وضرورة اتخاذها سبيلا متبعا في نقد العقل الإسلامي لفهم الواقع الحقيقي لمجتمعاتنا الإسلامية.

بلاش لسندلس

أهمية اختراق الأدبيات التاريخية المتراكمة لرؤية الإسلام

النص المدروس مأخوذ من كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، المعنون بـ"نحو طفرة إبستمولوجية في تاريخ الإسلام أو ضرورة الخروج من الادبيات البدعوية" عبارة عن مقطع من حوار أجراه المترجم هاشم صالح مع مؤلف الكتاب المفكر والباحث الأكاديمي والمؤرخ الجزائري محمد أركون أستاذ في جامعة السوربون لتاريخ الفكر الإسلامي والذي مشروعه نقد العقل الإسلامي، حيث أُجريَ هذا الحوار بهدف إيصال أفكار أركون الأساسية التي لم توضحها الترجمات السابقة للقارئ العربي. وعليه فإنّ هذا النص ذو بعد فكري تعليمي لكونه يخاطب العقل مباشرة ويقدّم منهجية جديدة للبحث ودراسة تاريخ الإسلام. ويعالج فكرة أساسية وهي لزومية إعادة التفكير في المؤلفات الإسلامية وتجاوزها لكي نرى صورة الإسلام الحقيقة.

وفي خضم تناوله لهذا الموضوع يطرح أركون أفكارا فرعية عدة، حيث يرى ان هناك زعما مشتركا بين المذاهب الإسلامية رسخته النصوص المرتبطة بها في عقول المسلمين، وهو أنها جميعها على اختلافها تدعي في

مؤلفاتها بأنها التجسيد الحقيقي لصورة الإسلام، وهو زعم لأن الإسلام لم يتجلّى على صورته الحقيقية إلا في عصر النبي والخلفاء الأوائل وأن هاته التقسيمات لم تظهر إلا بعده نتيجة الفتن ولم تكن موجودة في لحظة ظهور الإسلام والخطاب القرآني كما يعتقد مسلمو اليوم. ثم يقدّم حلاً للكشف عن حقيقة ظهور هاته التقسيمات يكمن في إجراء دراسة تاريخية لهاته المذاهب ونشأتها ولتأليف تفاسيرها والتي بها يتحرر عقل المسلم من هذا الوهم ويصبح واع بالمسافة التاريخية بين ظهور النص القرآني والنصوص التفسيرية. ضف لذلك أنه يرى أن أثناء عملية التحرّي التاريخي ورصد الحقيقة هاته ينبغي التمييز بين حقيقة اكتسبت مصداقيتها لمجرد مناصرة عدد كبير لها، وحقيقة مصداقيتها ناتجة عن تجلي دليل للعقل بعد التفكير والنظر في معطيات التاريخ، كما يشدّد على ضرورة اتباع طريقة علمية تقنية تتمثل في نقل الحقيقة كما وجدت في التاريخ وأخذ كلّ نتائج البحث بعين الاعتبار دون تحيز وإبداء ميول .فهو يجد أن من الواجب اتخاذ هذا الموقف الذي يلزم الانسان نسيانه لمعتقداته ومعارفه التي تضغط عليه محاولة التأثير على عرضه للحقيقة ويتطلب منه مهارة في طرق البحث والدراسة وادراكه بمختلف العلوم ،ثمّ يشير إلى أنّ مصير الذين لم يتبنوا هذا الموقف هو أن نظرتهم للأمور وطريقة التعامل معها ستكون مطابقة لتلك الخاصة بفرقة اجتماعية ما وسيظلّون تابعين لسلطة عليا وإرادتها، رافضين لكلّ معارض لها ولمعتقداتها. في الأخير يخبرنا بسبب تشديده على ضرورة تجاوز المؤلفات الإسلامية، المتمثّل في أن المذاهب المختلفة استخدمت طبيعة لغة النص القرآني كذريعة لإنشاء هاته المؤلفات أين أَوَّلت فيها القرآن حسب مصالحها وايديولوجياتها.

نستنتج أنّ محمّد أركون يدعو إلى اتباع المنهجية التاريخية الحديثة والنظر في جميع الاحداث التي طرأت في تاريخ الإسلام وعدم إخفاء حقيقة الأشياء لأنّ بهذه الطريقة فقط يمكننا أن نعقل الإسلام على حقيقته ونفهمه من كلّ الجوانب وبشكل أعمق ومختلف عن كلّ ما سبق.

بوعبله فاطمة زهراء

محمد أركون كاتب، مؤرخ، فيلسوف وقارئ للتراث الإسلامي جزائري الأصل يهتم بالإسلاميات التطبيقية حسب تسميته ويتمثل ذلك في تطبيقه لعلوم الإنسانية المعاصرة على النص الإسلامي عرف بعدم اعتماده على منهج واحد في كتاباته بل ينتقل من منهج إلى آخر اي ان موقفه المنهجي يتميز بالتعدد.

وفي هذا النص ذو الطابع التعليمي الفكري الخالي من العاطفة، يريد اركون أن يتجاوز الادبيات البدعية عن الأمور الإسلامية من موقعها الايديولوجي التي تكون بدون دلائل وبراهين حيث يرى أنه لا توجد اي فرق اسلامية لا سنية ولا شيعية ولا خارجية وهذه ما هي الا وهما اسطوريا لا علاقة له لا بالحقيقة ولا بالواقع، وكل هذا

ناتج عن فتنة كبرى (حروب أهلية، صراعات) شهدتها المدينة الإسلامية، انقسم بعدها المسلمون إلى فرق كل واحدة تزعم على أنها تمثل وحدها الإسلام الصحيح.

يقول أركون بأنّ سبب تصديق المسلمين لوهمية السنة والشيعة هي نقص المنهجية التاريخية بحيث يتوهمون بوجودها منذ بداية الإسلام ونزول القرآن، وبدوره كمؤرّخ فكان موقفه أنه يجب عليه وضع فروقات في كل ما سبق، بحيث ينبغي عليه ان يكون عقلانيا لا عاطفيا فلو كان عكس ذلك لأصبح عقائديا متحيزا. كذلك حقيقي لا حقيقي سوسيولوجي ناتجة ابحاثه على أراء عدد أكبر من الناس ويكمن ذلك في مقولته: انبثاق بدهية ما داخل الروح مع معطيات الواقع، ويقصد هنا بالواقع ربما التاريخ. فأعطى مثال بالباحث الجيولوجي في كيفية تفسيره للهزات الأرضية متبعا طريقة علمية وتقنية يكون الإنسان مسؤولا فيها. فأكرون يفعل الشيء ذاته في دراسة تاريخ مجتمع ما او تراث فكري ما بالنظر إلى مجموع الأحداث كما حصلت في التاريخ بالضبط ويراقبها كمراقبة الجيولوجي للهزة الأرضية بعيدا عن العواطف والميولات.

أبرز أركون طموحه في تطبيق مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة على النص الإسلامي ومن هنا كانت المنهجية التي حاول أركون تطبيقها على النص القرآني وهي منهجية كانت قد طبقت على النصوص المسيحية وتتلخص في إخضاع القرآن الكريم لمحك النقد التاريخي المقارن ويرى أركون أن تحقيق هذه المهمة مرهون بإزاحة مسلمات التقليد الإسلامي الوسيط الذي لا يزال هو مرجعية مسالك النظر القائمة عند عموم المسلمين.

معمري اكرام

محمد أركون كاتب، مؤرخ، فيلسوف وقارئ للتراث الإسلامي جزائري الأصل يهتمّ بالإسلاميات التطبيقيّة حسب تسميته ويتمثل ذلك في تطبيقه للعلوم الإنسانية المعاصرة على النصّ الإسلاميّ عرف بعدم اعتماده على منهج واحد في كتاباته بل ينتقل من منهج إلى آخر أي أن موقفه المنهجي يتميز بالتعدد.

وفي هذا النص ذو الطابع التعليمي الفكري الخالي من العاطفة، يريد أركون أن يتجاوز الادبيات البدعية عن الأمور الإسلامية من موقعها الايديولوجي التي تكون بدون دلائل وبراهين حيث يرى أنه لا توجد اي فرق اسلامية لا سنية ولا شيعية ولا خارجية وهذه ما هي الا وهما اسطوريا لا علاقة له لا بالحقيقة ولا بالواقع، وكلّ هذا ناتج عن فتنة كبرى (حروب أهلية، صراعات.) شهدتها المدينة الإسلامية، انقسم بعدها المسلمون إلى فرق كلّ واحدة تزعم على أنها تمثل وحدها الإسلام الصحيح.

يقول أركون بأنّ سبب تصديق المسلمين لوهمية السنة والشيعة هي نقص المنهجية التاريخية بحيث يتوهّمون بوجودها منذ بداية الإسلام ونزول القرآن، وبدوره كمؤرّخ فكان موقفه انه يجب عليه وضع فروقات في كلّ ما سبق، بحيث ينبغي عليه ان يكون عقلانيا لا عاطفيا فلو كان عكس ذلك لأصبح عقائديا متحيزا. كذلك حقيقي لا حقيقي سوسيولوجي ناتجة ابحاثه على أراء عدد أكبر من الناس ويكمن ذلك في مقولته: انبثاق بدهية ما داخل الروح مع معطيات الواقع، ويقصد هنا بالواقع ربما التاريخ. فأعطى مثال بالباحث الجيولوجي في كيفية تفسيره للهزات الأرضية متبعا طريقة علمية وتقنية يكون الإنسان مسؤولا فيها. فأركون يفعل الشيء ذاته في دراسة تاريخ مجتمع ما أو تراث فكري ما بالنظر إلى مجموع الأحداث كما حصلت في التاريخ بالضبط ويراقبها كمراقبة الجيولوجي للهزة الأرضية بعيدا عن العواطف والميولات.

أبرز أركون طموحه في تطبيق مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة على النص الإسلامي ومن هنا كانت المنهجية التي حاول أركون تطبيقها على النص القرآني وهي منهجية كانت قد طبقت على النصوص المسيحية وتتلخص في إخضاع القرآن الكريم لمحك النقد التاريخي المقارن ويرى أركون أنّ تحقيق هذه المهمة مرهون بإزاحة مسلمات التقليد الإسلامي الوسيط الذي لا يزال هو مرجعية مسالك النّظر القائمة عند عموم المسلمين.

الفصل الثالث

المجتمع والأفكار

١ ـ المجتمع عبر العوالم الثلاثة : الشيء ـ الشخص ـ الفكرة رجحان أحد هذه العوالم هو الذي يميز كل مجتمع عن سواه .
٢ ـ المجتمع التاريخي يسجل مراحل ثلاثاً : مرحلة ما قبل التحضّر ، ومرحلة التحضّر والدورة الحضارية ، ومرحلة مابعد التحضّر .
٣ ـ مجتمع ما قبل التحضّر وما بعد التحضر لا يفتقر للوسائل وإنما للأفكار .
٤ ـ المجتمع الإسلامي مرّ بهذه المراحل الثلاث منذ العصر الأول وحتى سقوط دولة الموحّدين . وهو يعيش عصرَ مابعد الحضارة .

يعتبر علماء الأحياء (البيولوجيون) أنَّ علم الأجنّة يصوِّر المراحل التكوينية للجنس البشريّ .

وليس ثمة سببٌ فقهيٌّ من وجهة النظر الإسلامية لتأكيد هذه القضية أو الشك فيها .

فالفكر القرآني قد بقي مجازياً في هذه القضية كما في سواها شأن كلّ فكرٍ ديني .

أما على الصعيد التاريخي فالأمر مختلف ، إذْ يمكن الإشارة إلى أوجه التشابه بين بعض مظاهر النمو العقليّ عند الفرد ، والتطوُّر النفسيّ ـ الاجتماعيّ للمجتمع ، وهذا الأخير يمر هو أيضاً بالأعمار الثلاثة :

١ ـ مرحلة الشيء .
٢ ـ مرحلة الشخص .
٣ ـ مرحلة الفكر .

بيد أن الانتقال هنا من مرحلةٍ إلى أخرى ليس بالوضوح الذي نراه عند الفرد . فكل مجتمع مهما كان مستواه من التطور له عالمه الثقافي المعقد .

ففي نشاطه المتناغم هنالك تشابكٌ بين العوالم الثلاثة : الأشياء ، والأشخاص ، والأفكار .

وغنيٌّ عن البيان أنَّ خطة هذا النشاط ـ مهما كان بدائياً ـ تنطوي بالضرورة على مسوِّغات وأنماط تنفيذية : بواعث في المستوى الأخلاقي ، وأفكار تقنية . ولكن يظلُّ هنالك دائماً رجحان لأحد هذه العوالم الثلاثة . وبهذا الرجحان الذي يظهر في سلوك المجتمع وفكره يتميز كلّ مجتمع عن سواه من المجتمعات .

فالمجتمع المتخلّف ليس موسوماً حتماً بنقصٍ في الوسائل المادية (الأشياء) ، وإنما بافتقارٍ للأفكار ، يتجلى بصفةٍ خاصةٍ في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه ؛ بقدر متفاوت من الفاعلية ، وفي عجزه عن إيجاد غيرها ، وعلى الأخصّ في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق ؛ عندما يتخلى عن أيّ رغبة ولو مترددة بالتصدّي لها .

ووفقاً لتعبير الاقتصاديين الدارسين لمشاكل العالم الثالث ؛ فالأرض هي الوسيلة الأصلح لتأمين (إقلاع) مجتمعٍ ما يمرُّ في مرحلته البدائية ، ويتأهب للانتقال إلى مرحلة ثانوية كالصين الشعبية منذ عام ١٩٥١ .

لكننا نلاحظ أن أكثر الأراضي خصوبةً في العالم ـ وتوجد في العراق وأندونيسيا ـ لم تُمَكِّن هذين البلدين من (الإقلاع) .

فهناك فاقةٌ حقيقية في الأفكار تظهر في المجال السياسي والاقتصادي ؛ على شكل موانع كابحة ، تتوافق من وجهة نظر علم الاجتماع مع الخصائص النفسية ـ الاجتماعية التي يتميز بها العالم الإسلاميُّ في الوقت الحاضر .

هذه الصورة يمكن أن تجد تفسيرها لدى المؤرخين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع ، كلٌّ حسب طريقته في التحليل .

لكننا نعتقد أننا نقدم لها هنا تفسيراً نفسيّاً اجتماعياً بالرجوع إلى نظرية الأزمنة الثلاثة ؛ والتي سنجد مسوغاتها بسوابق المجتمعات المعاصرة .

وبصفة عامةٍ فعلى محور يمثل سائر مراحل التطور يحتل المجتمع التاريخي معاصراً كان أو تالداً مرحلةً محددةً .

والتاريخ يسجل منها ثلاثاً :

١ ـ مرحلة المجتمع قبل التحضر .
٢ ـ مرحلة المجتمع المتحضر .
٣ ـ مرحلة المجتمع بعد التحضر .

والمؤرخون يميزون جيداً في العادة بين الوضع الأول والثاني ، ولكنهم لم يهتموا بالتمييز بين هذين الوضعين والوضع الثالث .

فهم يرون أن مجتمع مابعد التحضُّر هو بكل بساطة مجتمع يواصل سيره على طريق حضارته ، وهذا الخلط المؤسف يُولد أنواعاً أخرى من الخلط والالتباس تزيف وتفسد المقدمات المنطقية التي يرتكز عليها الاستدلال على الصعيد الفلسفيّ والأخلاقيّ ، وعلى صعيد علم الاجتماع ، وحتى على الصعيدين الاقتصادي

والسياسي ؛ عندما يزعم البعض أنه استناداً إلى مثل هذه المقدمات يمكن طرح مشكلات البلاد المتخلفة وإيجاد الحلول لها .

وقد يَستغلُّ هذا اللَّبْسَ أحياناً المتخصصون في الصراع الفكري ؛ عندما يتولون هم أنفسهم أو يكلفون أحد تلاميذهم محاولة إقناعنا في قياسٍ منطقيٍ خاطئٍ بفشل الإسلام في بناء مجتمع متقدم[1] .

ولكي نزيل هذا اللبس نقول : بأن مجتمع ما بعد التحضر ليس مجتمعاً يقف مكانه ، بل هو يتقهقر إلى الوراء بعد أن هجر درب حضارته وقطع صلته بها .

ولم تفت ملاحظة هذه الظاهرة أحد المؤرخين فوصفها في أسىً بقوله : « وكأني بالمشرق (الإسلامي) قد نزل به ما قد نزل بالمغرب ، ولكن على مقدار ونسبة عمرانه وكأنما لسان الكون ينادي في العالم بالنوم والخمول ، فأجاب » .

إنّه ابن خلدون الذي دوّن بعد قرن من سقوط بغداد وقبل قرن من سقوط غرناطة هذه النقطة الخاصة بانفصام دورة الحضارة الإسلامية ؛ النقطة التي ابتدأ منها عصر ما بعد الموحّدين ، أي عصر التخلُّف الحضاريّ في العالم الإسلاميّ .

وبتتبعنا لمسيرة هذا المجتمع منذ نشأته التاريخيَّة المحددة بالتقويم الهجريّ يمكن تكوين فكرة عن المراحل التي اجتازتها ودلالتها النفسية ـ الاجتماعية .

في الأصل كان مجتمعاً قبلياً صغيراً ، يعيش في شبه الجزيرة العربية ، وفي عالم ثقافي محدود ، حيث كانت المعتقدات نفسها تتمحور حول أشياء لا حياة فيها ، إنها أوثان الجاهلية .

فالبيئة الجاهلية تمثل أصدق تمثيل مجتمعاً هو في عمر (الشيء) ، ويجب أن

---

(١) يعتقد المؤلف أن لا ضرورة للتركيز على هذه النقطة التي قام بتحليلها في دراسته تحت عنوان (إنتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلاميّ الحديث) .

نلاحظ إضافةً إلى ذلكِ أنه في هذا المستوى من مرحلة ما قبل التحضر ؛ فإنّ عالم الأشياء يكون هو نفسه شديد الفقر وتكون الأشياءُ فيه بدائيَّة : كالسيف ، والرمح ، أو الوتد ، والكنانة ، والقوس ، والسهام ، والجمل ، والحصان ، والسرج ، دون ركاب ، أو مزود بسندٍ خشبي بسيط (هذا الركاب الحديدي سوف يخترعه المهلَّب بن أبي صُفرة فيما بعد) والخيمة ، والأدوات المنزلية الهزيلة المقرونة بحياة البداوة .

وعلى كلٍّ فإن (الشيء) يسترد سيطرته على الإنسان في مجتمع ما بعد التحضر ، حيث يتمتع هذه المرة (شأنه شأن كل مجتمعٍ استهلاكيٍّ) بعالم مثقل بأشياء ، بيد أنها أشياء خامدة وخالية من الفعاليّة الاجتماعيّة .

ومهما يكن من أمر فإنَّ عالم الأشخاص في المجتمع الجاهليِّ قد انحصر في حجم القبيلة ، فيما عالم أفكاره قد تمثل بوضوحٍ في تلك القصائد المتألقة الشهيرة بالمعلقات ، وهو بالإجمال ـ شأن عالم أشخاصه ـ عالمٌ محدود يستقي منه الشاعر الجاهلي أبياته البراقة ليشيد بمجد قبيلته وانتصارها في أحد الفصول الملحميَّة التي حفظتها ذاكرة التاريخ تحت اسم (أيّام العرب) ، ويتغنى بذكرى حبيبته ، أو يبكي كالخنساء ، بطلاً هوى ، أو يسعى لتخليد اسمٍ كاسم حاتم الطائي لجوده وحسن ضيافته .

هكذا كان وجه ذلك المجتمع الجاهلي المنغلق على نفسه والذي كانت تتلاشى على أرباضه حركات المد والجزر التاريخية للأمم العظيمة التي جاورته : الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الفارسية ، ومملكة الحبشة في الجنوب .

وفجأةً أضاءت فكرةٌ في غار ، غار حراء ، حيث مُنْعَزِلٌ يقوم فيه متأملاً . وحمل وميضها رسالةٌ بدأت بكلمةِ (اقرأ) .

مزقت هذه الكلمة ظلمات الجاهلية ، وقضت على عزلة المجتمع الجاهليِّ .

ورأى النورَ مجتمعٌ جديدٌ متفاعل مع العالم ومع التاريخ ، فشرع بهدم ما بداخله من حدودٍ قبلية ليؤسس عالمه الجديد من الأشخاص ؛ حيث كلٌّ أضحى حاملَ رسالته ، وليبني عالماً ثقافياً جديداً تتمحور فيه الأشياء حول الأفكار .

في مبدأ الأمر ، وعندما بدأت عملية اندماج المجتمع الإسلامي في التاريخ ، تأسس عالم الأشخاص فيه على نموذج أصليٍّ ، يتمثل بطائفة الأنصار والمهاجرين المتآخين في المدينة .

ولقد جسد هذا النموذجُ الفكرة الإسلامية . إذ أضحى النموذج المحتذى والمستلهم ، والذي منه تُجْتَنى الذكريات التي ألهمت الكتابات الأولى في العالم الإسلامي ؛ كطبقات ابن سعد .

وجميع خطوات المجتمع الجديد نحو عالم الأفكار ـ أي نحو عمر الفكرة ـ مرت عبر عالم الأشخاص هذا ـ أي عبر ـ عمر الشخص .

هكذا يتواصل الاطراد في المجتمع كما في الفرد حتى نقطة الارتداد والانكفاء . هنا تجمد الفكرة ، وتتجه المسيرة نحو الوراء ، إذ ينقلب المجتمع الإسلاميٌّ على أعقابه ليعود على إثر مراحل عوالمه الثلاثة .

هنا لا يعود عالم أشخاصه على هيئة النموذج الأصليِّ الأوّل ، بل يصبح عالم المتصوفين ، ثم عالم المخادعين والدجالين من كل نوع ، ولا سيما من نوع (الزعيم) .

وعالم أشيائه لا يعود بسيطاً مستجيباً لضروراته كما كان حاله في الجاهلية . فالأشياء هنا تستعيد سلطتها على العقول والوعي ، إذ غالباً ما تكون تافهةً براقةً ، وتبهظ الجيوب حين يتعين شراؤها من الخارج .

هكذا فالسيرورة منغلقة . والمجتمع الإسلامي العائد أدراجه يجد نفسه في النهاية ومنذ عدة قرون في عصر مابعد الحضارة .

مالك بن نبي

النصّ

النصّ الثاني المعروض على الطلبة للتحليل للتطبيق في تحليل الخطاب مأخوذ من كتاب المفكر الجزائري مالك بن نبي "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي Le Problème Des Idées Dans Le Monde Musulman **" من سلسلة مشكلات الحضارة وقد ترجمه إلى العربيّة بسّام بركة وأحمد شعبو وقدّم له عمر مسقاوي قامت بنشره دار الفكر المعاصر بيروت_دمشق سنة** 2002م/1463ه.

النصّ الذي بين أيدينا هو الفصل الثالث من الكتاب حيث خصّصه للحديث عن "المجتمع والفكر La Société Et Les Idées **" وجاء في صفحات ست من ص**35 **إلى** 40.

سير ورة الدرس:

تطرح مجموعة أسئلة لمساعدة الطلبة على تحليل النص وإعادة كتابته. هذه الأسئلة لها ارتباط بمعطيات سبق وأن أخذها الطلبة نظريا لها علاقة بتحليل الخطاب والدراسة البلاغية والأسلوبيّة.

الأسئلة:

ما هو البعد أو الغرض البلاغي للنصّ؟

ما هو السؤال الرّئيس الذي يحاول هذا النصّ الإجابة عنه؟

كيف يتفرّع هذا السؤال الرّئيس إلى أسئلة فرعيّة؟

الإجابة

البعد أو الغرض البلاغي للنصّ هو فكري تعليمي حجاجي.

السؤال الرّئيس الذي يبحث النصّ عن إجابة له هو: على ماذا تقوم الحضارة؟ ما هي مقوّمات الحضارة؟

الأسئلة الفرعيّة:

ماذا يصوّر علم الأجنة؟

هل يتعارض ذلك مع الفقه الإسلامي؟ وكيف هي طبيعة الفكر الإسلامي تجاه هذه القضيّة؟ (هو رأي قال به محمد أركون في نصّ سابق عند حديثه عن الطفرة الابستمولوجية في تاريخ الفكر الإسلامي بحديثه عن الطابع المجازي للفكر القرآني تجاه مثل هذه القضايا والامر ينطبق على باقي الفكر الديني بشكل عام).

ما هي أوجه التشابه بين بعض مظاهر النمو العقلي عند الفرد والتطوّر النفسيي الاجتماعي للمجتمع؟

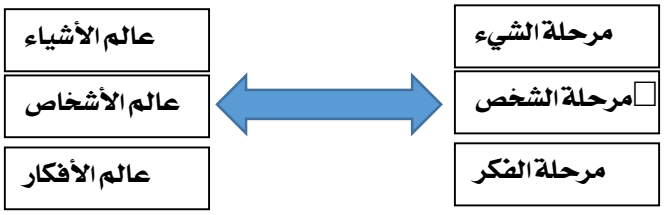

كيف يمكن الانتقال من مرحلة إلى أخرى؟ غير واضح، كلّ مجتمع له عالمه الثقافي المعقد مهما كلن مستواه، وجود تشابك وتداخل بين العوالم الثلاثة.

كيف هي خطة هذا التشابك؟ مهما كان المجتمع بدائيا فذلك يرتبط بالأخلاق والأفكار التقنية، فيغلب عالم من العوالم على الآخر فيظهر في سلوك المجتمع وفكره وهو ما يميّز ذلك المجتمع عن غيره من المجتمعات.

هل المجتمعات المتخلفة تنقصها الوسائل الماديّة (الأشياء)؟ أو ما هو الأمر الذي ينقص المجتمعات المتخلفة؟ ليس موسوما بنقص الوسائل الماديّة بل يفتقر للأفكار، طريقة استخدام الوسائل المتوفرة بدرجة فاعليّة متفاوتة والعجز عن إيجاد البديل. أسلوب طرح المشاكل أو عدم طرحها بتاتا وعدم المجابهة. موانع وهي الفاقة التامة في الأفكار سياسيا واقتصاديا مثلما هو الحال في العالم الإسلامي.

ما الحل الأنسب؟ حسب الاقتصاديين الأرض هي الحلّ للإقلاع نموذج الصين. لكن أكثر الأراضي خصوبة العراق إندونيسيا لم يقلعا.

كيف يفسّر ذلك نفسيا واجتماعيا؟ حسب نظريّة الأزمنة الثلاثة: مرحلة المجتمع قبل التحضّر، المتحضّر وبعد التحضّر.

ما هو خطأ المؤرّخين في ذلك؟ تمييزهم بين المرحلة الأولى والثانية وعدم مقارنتها بالثالثة على أساس أنه سائر في حضارته وهذا خلط.

وتستمرّ الأسئلة بهذا الشكل مع أخذ الإجابة بجانبها.

وقد جاءت محاولات الطلبة كالآتي. كذلك أغلبيّة الطلبة لم يضعوا عنوانا لمقالهم المنجز. ولم يتبعوا الخطوات بشكل دقيق.

الهيدباني هيام

الكتاب الذي اختير لدراسته وتحليله هو كتاب لمفكر الاسلام وفيلسوف الحضارة في القرن العشرين، جزائري الأصل تحديدا من مدينة قسنطينة وهو "مالك بن نبي" والذي بذل جهدا كبيرا للبحث في مشكلات الحضارة وفهم مقوماتها. في كتاب يحمل اسم "مشكلات الافكار في العالم الاسلامي" والذي تناول فيه 17 فصلا، نخصّ دراستنا وتحليلنا الخطاب اليوم لفصلين منه هم الفصل الثالث "المجتمع والافكار" والفصل الرابع "الحضارة والافكار".

حيث يعالج في الفصل الثالث "المجتمع والافكار" التشابه بين بعض مظاهر نمو العقل عند الفرد والتطور النفسي والاجتماعي المجتمع، حيث يمرّ المجتمع بمراحل الاعمار الثلاثة التي يمرّ بها الفرد (مرحلة الشيء–مرحلة الشخص–مرحلة الفكر) وكذلك الحالة الجنينية للإنسان تنطوي على الثلاثة مراحل الشيئية والشخصانية والفكرية، وبروزها تدريجيا بعوامل النمو والتربية والمجتمع فيما بعد ووضح ايضا ان المجتمع المتخلف هو المجتمع الذي يفتقر إلى الافكار مع عجز عن صناعة ادوات مواجهة ما يحتاج منها حيث وضف مثال الارض (التراب) حيث ان المجتمع المتخلف يعجز عن استثمارها مثل: العراق، إندونيسيا والسودان وكأنهم في مرحلة الجاهلية ما قبل الاسلام وكذلك كانوا يركزون على ادوات بدائية مثل (السيف، الرمح، القوس، الجمل، الحصان، الخيمة). وكلّ افكارهم التي تدور في رؤوسهم يتغنون بها بواسطة الشعر واعتمدوا على فكرة الآية التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك) في غار حراء اضاءت للعرب والعالم نور افكار كثيرة غيرت مجرى التاريخ الإنساني بأكمله، حيث جمعت أيدي المهاجرين والانصار وغيرهم لبناء مجتمع ودولة وحضارة لا مثيل لها في التاريخ. وتوقف ذلك بعد غلق باب الاجتهاد وانغماس المسلمين في عالم الاشياء وادوات الطرب واقتناء الجواري بديلا عن. اقتناء السيف والقلم وسرج الحصان اي تفكيرهم كان محدودا ومحصورا فتحولت الأمة الاسلامية من صناعة الحياة الى استهلاك ما يصنعه الآخرون منها ومن فاتحين الى مستعمرين.

أما في الفصل الرابع "الحضارة والافكار" ركز فيها على نقطة ان الفكرة هي الرحم الذي تولد منه الحضارة، حيث ان لكل حضارة فكرة دافعة تخرج منها وتستمر بها، فالمعجزات الكبرى في التاريخ مرتبطة دائما بالأفكار الدافعة ويحدّد المحيط الثقافي المجتمع خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الاخرى، وللأفكار دور وظيفي في

فكرة اندماج مجتمع ما في التاريخ كالفكرة المسيحية التي اخرجت اوروبا الى مسرح التاريخ وتضيف قوة وارادة المجتمع صفة الموضوعية على وظيفة الحضارة وكلّما تحسنت قوة وارادة المجتمع كلما استطاعت أن تساعد الفرد في تحقيق ذاته .

الاسئلة المتبعة لبناء تحليل الخطاب:

س –ر _ على ماذا تقوم الحضارة؟

س–ف _ ما هي المراحل التي سجلها المجتمع الإسلامي؟

ما هو موقف النظرية الاسلامي في قضية علم الاجنة حول تصوير المراحل التكوينية للجنس البشري؟

كيف يتميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات؟

كيف تولد الحضارة؟

ما هي درجة مساهمة الافكار في نجاح حضارة ما؟

بلقاسم هبة

يتمثل موضوع التحليل في فصل "المجتمع والأفكار" من كتاب المفكر الجزائري مالك بن نبي "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" سلسلة "مشكلات الحضارة" الذي نشرته دار الفكر سنة 2002، ترجمه الدكتور بسّام بركة والدكتور أحمد شعبو من اللغة الفرنسية. هذا الفصل فكري تعليمي حيث يعرض فيه مالك بن نبي العلاقة بين نهضة المجتمع الإسلامي بالفكر.

يستهل هذا الفصل بالتذكير أن الفكر الديني غير واضح في مسألة مراحل تكوين الجنس البشري، ولهذا فقد قسم مالك بن نبي الحضارة إلى عوالم وهذه الأخيرة هي معيار تقييم وتمييز مجتمع عن آخر، وهذا من خلال عملية تفاعل هذه العوالم مع بعض ورجحان عالم على آخر. فتتمثل في: عالم الأشياء وهو الوسائل والموارد المستعملة، عالم الأشخاص وهو علاقات الفرد وطريقة تعامله مع ما حوله وأخيرا عالم الأفكار وهو مجموع المعتقدات التي تقرر مسرى تعامل الفرد مع العوالم السابقة.

وفي شرحه لأهميّة الأفكار أعطى مثالا بالمجتمع الذي تطلق عليه صفة التخلف، فهو ليس متخلفا لغياب المواد والموارد –عموما–وإنما لغياب الأفكار التي تجعله يسخر الأشياء في تحقيق رغباته وحل مشاكله، وقد يتمثّل هذا الغياب في مجتمع ما مثلما هو الحال في العالم الإسلامي على شكل عوائق سياسية واجتماعية.

هذا من الناحية التكوينية للحضارة أما من المنظور التاريخي التسلسلي، فقد قدم مالك بن نبي المراحل التاريخية للحضارة الإسلامية وذلك لتفسير وضعها الراهن. فتتمثل هذه المراحل في: مرحلة ما قبل التحضر، مرحلة التحضر ومرحلة ما بعد التحضر. بيد أن المؤرخين يغفلون عن علاقة المرحلتين الأولى والثانية مع الثالثة، ومنه نشأت تداعيات تحليلية اجتماعية بسبب عدم ضبط مفهوم مرحلة "ما بعد التحضر" ضبطا صحيحا. لهذا قدّم هذا المفكر تعريفا واضحا لها على أنها المرحلة التي يعود فيها مجتمع ما إلى حالته الأولى.

ثم تخصّص على أساس المراحل السابقة في سرد الأعمار التي مر بها العالم الإسلامي بداية من المجتمع القبلي المنغلق على نفسه حيث كانت فيه كفة عالم الأشياء هي الأرجح، لكنها كانت في حالة جد بدائية، وهذا ما شجع على تقهقر عالم الأشخاص وانحصاره، فانعكس بالتالي على عالم الأفكار الذي اتسم بمحدودية المواضيع التي لا تتخطى عتبة قصائد المدح والغزل. بينما كانت الأمم الأخرى تشهد حركات حضارية عظيمة. ثمّ انتقل العالم الإسلامي إلى مرحلة التحضر عندما أنارت كلمة "اقرأ" غار حراء؛ النقطة الفاصلة التي أخذت ذلك المجتمع القبلي من غياهب الانعزالية إلى نور التفاعل، فتأسّس في ذلك المجتمع عالم جديد يخرج فيه الفرد من قوقعته أي يتعامل مع عالم الأشخاص وتلتف فيه الأشياء حول الأفكار. فكان تجسيد عالم الأشخاص متمثّلا في طائفة الأنصار والمهاجرين [يعتبر مثال الأنصار والمهاجرين مثالا قويا على الانتقال من حالة الانغلاق إلى الانفتاح لطبيعة هذه الطائفة، فالأنصار من استقبل الرسول وأصحابه في المدينة وناصروه، أمّا المهاجرون فهم الذين أسلموا قبل فتح مكة وهاجروا رفقة الرّسول إلى المدينة واتحدوا تحت فكرة واحدة وهي الإسلام. ممّا نجم عن هذا الاتحاد مرحلة التحضر]، وأمّا عن نتاج هذا التفاعل المثمر فنجد تأليف كتب قيمة من قبيل كتاب "الطبقات الكبير" لمحمّد بن سعد البغدادي [يعدّ كتاب الطبقات الكبرى مرجعًا في السيرة النبوية والتراجم والتواريخ، حيث تناول فيه مصنفه السيرة النبوية المطهرة، عارضًا لمن كان يفتي بالمدينة المنورة، ولجمع القرآن الكريم، ثمّ قدم تراجم للصحابة ومَن بعدهم من التابعين وبعض الفقهاء والعلماء. ومن منهج المصنف في الكتاب أنه يذكر اسم العلم المترجم له، ونسبه، وإسلامه، ومآثره، وما ورد في فضله في ترجمة مطولة، وقد بلغ عدد الأعلام المترجم لهم 4725 علمًا، ويُعد هذا الكتاب من أقدم الكتب التي

وصلت إلينا من كتب التواريخ الجامعة لرواة السنة النبوية من ثقات وضعفاء، وهو مرتب على الطبقات، وقد تكلّم على الرّواة جرحًا وتعديلًا. ويكيبيديا].

ولكن هذا الوضع المتحضّر لم يدم، إذ أنّ مرحلة التراجع لابدّ منها، ومنه دخلت تلك الحضارة مرحلة بعد التحضّر. فاسترسل مالك بن نبيّ في وصفه لهذه المرحلة على مستوى العالم الإسلامي. فعجلة الحضارة لا تتوقف وإنّما تدور عكس مسارها؛ حيث يعود عالم الأشخاص إلى هيئة المخادع والدجال والأشياء تصبح عقيمة لا نفع لها. ويرجع هذا لجمود الفكرة وتوقفها، وهكذا صار العالم الإسلامي منحصر فيما بعد التحضر.

ملاك مرجة

في مستهل الحديث، تناول مالك بن نبي في كتابه فصل _ المجتمع والأفكار_ الدور المحوري والاستراتيجي للأفكار في هندسة المعمار الحضاري المجتمعات حيث اتجه نحو بعد بلاغي فكري حجاجي يخاطب العقل. ومن هذا المنطلق يقسم مالك بن نبي نشأة المجتمع الإسلامي عبر ثلاث مراحل؛ مرحلة ما قبل التحضر، الدورة الحضارية ومرحلة ما بعد التحضر التي يعيشها الآن. فهو يرى أنه لا يوجد ثمّة سبب فقهيّ من وجهة النّظر الإسلاميّة تفسّر قضية تصوير المراحل التكوينيّة للجنس البشري لدى علماء الأجنة وعلى خلاف ذلك على الصعيد التاريخيّ إذ يمكن الإشارة إلى أوجه التشابه بين بعض مظاهر النمو العقلي عند الفرد ما بين عالم الأشياء والأشخاص والأفكار بحيث أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى ليس بالوضوح الظاهر فلكل مجتمع مستواه من التطور وعالمه الثقافي المعقد.

فالشيء والفكر الظّاهر في سلوك المجتمع هو ما يميّزه عن غيره، فما ينقص المجتمعات المتخلفة هو الافتقار الأفكار أكثر منه للوسائل المادية (الأشياء) وعلى الأخصّ في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق، أما وجهة نظر الاقتصاديين الدارسين لمشاكل العالم الثالث تنطوي حول أن الأرض هي الوسيلة الأصلح لتأمين اقلاع مجتمع ما يمر في مرحلته البدائية للانتقال إلى مرحلة أخرى ولكن هذا لا ينطبق بالفعل على أرض الواقع.

فالأفكار تشكّل موانعا في المجال السّياسي والاقتصاديّ على عكس توافقها مع علم الاجتماع، وناهيك عن ذلك فالمؤرخون يميّزون جيدا بين مرحلة المجتمع ما قبل التحضّر ومرحلة التحضّر إلاّ أنهم لا يهتمّون بالتمييز بين المرحلتين السابقين ومرحلة المجتمع ما بعد التحضر، فهم يرونه مجتمع يواصل سيره على طريق حضارته وهذا الخلط يولّد لبسا نزيفا وتفسد فيه المقدمات المنطقية التي يرتكز عليها الاستدلال على الصعيد الفلسفي والأخلاقي وقد

يستغل هذا اللبس في الصراع الفكري ولإزالته يقول مالك بن نبي بأن مجتمع ما بعد التحضر ليس مجتمعا يقف مكانه بل من يتقهقر إلى الوراء بعد أن هجر درب حضارته وقطع صلته بها.

فباتباعنا لمسيرة نشأة المجتمع التاريخي يمكننا تكوين فكرة عن المراحل التي اجتازتها ودلالتها النفسية والاجتماعية، فالمجتمع الإسلامي كان في الأصل مجتمع قبلي صغير ثقافي محدود، بالبيئة الجاهلية تمثل أصدق تمثيل لمجتمع هو في عمر الشيء الذي انحصر في الفقر والبدائية، أمّا عالم الأشخاص في المجتمع الجاهلي انحصر في حجم القبيلة التي تمثلت بوضوح في تلك القصائد المتألقة الشهيرة بالمعلقات التي يشيد بها الشاعر بمجد قبيلته وحروبها وانتصاراتها، إلى حين مجيء القرآن الكريم الذي أزاح الغشاوة عن طريق فكرة أضاءت غار حراء وحمل وميضها رسالة بدأت بكلمة اقرأ فقضت على عزلة الجاهلية ورأى النور مع مجتمع جديد متفاعل مع العالم والتاريخ، فأسّس عالمه الجديد من الأشخاص وبنى عالما ثقافيّا تتمحور فيه الأشياء حول الأفكار وتكون بذلك جميع خطوات المجتمع الجديد نحو عالم الأفكار مرّت عبر عالم الأشخاص.

حميدو مسعودة

يتناول مالك بن نبي في هذا النص الفصل الثالث من كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي المترجم من اللغة الفرنسية في إطار فكري تعليمي إذ سعى إلى تحفيز العقل للتمعن في دور الأفكار في تحقيق نهضة المجتمعات أو ركودها وأكّد ذلك من خلال حجج وأدلّة عدة.

ما يميز المجتمع عموما اهتمامه بعوالم الأشياء الأشخاص والأفكار ونوعية وقيمة كل واحدة على حدة حتى إن الحالة الجينية للإنسان تمرّ هي كذلك بهذه المراحل الثلاث الشيئية الشخصانية والفكرية فوجه التشابه بين النمو العقلي للفرد وتطوره الفكري هو العبور بهذه المراحل تدريجيا لكن الباطن أعظم من الظاهر فالانتقال عبرها لا يتم بهذه السهولة البادية وسبب ذلك هو تشابك إحدى العوالم بغيرها.

فالمجتمع المتخلف مفتقر للأفكار لا الوسائل مع العجز التام عن استعمال المتاح منها وإيجاد بدائل أفضل وأكد المفكّر قوله من خلال إعطاء مثال بعض الدول التي تمتلك أراضي خصبة كالعراق واندونيسيا عن خدمة أراضيهم واستغلالها بسبب ما وصفه بالكوابح السياسية والاقتصادية المانعة.

فعند البحث عن مراحل التطور التاريخي يركز المؤرخون على مرحلتي ما قبل التحضر ومرحلة التطور لكنهم لا يهتمون بمرحلة ما بعد التطور هذا ما يتنافى والمقدمات المنطقية الاستدلالية الحقة فتغير الوضع لا يعني انه أصبح

أكثر تطورا قد يكون ازداد سوءا وازدراء مثلما كان سائدا في العصر الجاهلي تركز التفكير فيه حول الأشياء والأشخاص وكل ما برز من افكار كان يدور حول التغني بشعر أيام العرب وحروبها وتخليد البطولات.

لكن فكرة اقرا باسم ربك في غار حراء غيرت مجرى المجتمعات الإنسانية بأسرها وكرست لبناء مجتمع إسلامي متقدم ما كاد يكتمل تطوره حتى عاد إلى نقطة البداية بسبب توقف اجتهاد المسلمين وانغماسهم في القشور ونسيان اللبّ.

وهذا ما مثله ابن خلدون تماما بثلاث مراحل بعدما كان المجتمع الاسلامي في مرحلة الوثنية والأصنام في العصر الجاهلي عرف صحوة فكرية ما كادت تتطور حتى تلاشت حيث انكبوا على الداء ولم يبحثوا عن الدواء.

معمري اكرام

مالك بن نبي مفكر وفيلسوف جزائري، أحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث، تحدث عن مراحل تطور الحضارة الإسلامية.

في هذا النص يقول مالك بن نبي ان كل مجتمع يتميز عن مجتمع اخر بمقومات ثلاث الشخص، الشيء، الفكرة عبر مراحل تاريخية تعرف بقبل التحضر الدورة الحضارية وبعد التحضر. الا انه مغاير بالنسبة للمجتمع الإسلامي فهو يعيش مرحلة بعد التحضر منذ العصر الأول إلى سقوط دولة الموحدين.

يبدأ تطور المجتمع بالمرور بمراحل ثلاث متداخلة الشيء، الشخص والفكر والتي لها دور كبير على مستوى الأخلاق والأفكار التقنية التي تؤثر على سلوكيات وفكر المجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى. ما يميّز تخلّف مجتمع ما فهو راجع إلى افتقاره للأفكار وكيفية تعامله مع الوسائل الموجودة لديه وعدم القدرة على استبدالها بأخرى كذلك عدم وجود اسلوب في طرحه للمشاكل.

وحسب علماء الاقتصاد فمشاكل العالم الثالث لا تحلّ إلا باستثمارهم للأرض بغية تجاوز المرحلة البدائية كما كان الحال في الصين الشعبية منذ عام 1951 الا اننا نجد بعض المناطق رغم تميزها بأكثر الأراضي خصوبة في العالم مثل إندونيسيا، العراق. فهي لم تنجح في تأمين مجتمعاتها وذلك راجع لندرة الأفكار على المستوى السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والنفسي.

أما مالك بن نبي فقد حلل ذلك على الصعيد النفسي والاجتماعي والتاريخي بالرجوع إلى مرحلة المجتمع قبل التحضر، مرحلة المجتمع المتحضر وبعد التحضر حيث يقول ان الخلط بينهم يولّد فسادا على الصّعيد الفلسفيّ

الأخلاقي، الاجتماعي والاقتصاديّ لذا لا بدّ من التمييز بينهم: فمرحلة بعد التحضر بكل بساطة هي عندما يكون مجتمع ما يواصل سيره على طريق حضارته قبل التحضر وتكون الأشياء فيه نفسها بدائية.

أما من ناحية الأشخاص فيقول مالك بن نبي ان المجتمع الجاهلي المنغلق، انحصر في حجم قبيلة أفكاره تمثلت في تحرير القصائد والمعلقات يتغنى فيها الشاعر بانتصارات قبيلته بكل فخر او البكاء على الاطلال. وبعد مجيء الإسلام ونزول اول آية قرآنية "اقرأ " ظهر مجتمع جديد يتبع العالم والتاريخ وهدم أفكاره الجاهلية ليبني عالما ثقافيا تتمحور فيه الأشياء حول الأفكار، ومن هنا يجد المجتمع الإسلامي نفسه بعد قرون ضمن عصر ما بعد الحضارة مبني على العقل والوعي.

يعتبر مالك بن نبي الحضارة على أنها نتاج فكرة جوهرية يتبعها مجتمع للتقدم في التاريخ وفق محيطه الثقافي الأصلي الذي ينحدر منه، محددا فيها الخصائص التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، فالأفكار تلعب دورا اساسيّا في اندماج مجتمع ما إلى التاريخ، فالفرد الذي هو جزء من هذا المجتمع يحقق ذاته وفق ارادة وقدرة نابعتين من ذاك المجتمع فأي انقطاع او انعزال عن الجماعة يولد قشة ضعيفة.

بوعبلة فاطمة زهراء

الخطاب الذي بين أيدينا هو خطاب تعليمي خالي من العاطفة يخاطب الفكر

مالك بن نبي: مفكر وفيلسوف جزائري، أحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث، تحدّث عن مراحل تطور الحضارة الإسلامية. في هذا النص يقول مالك بن نبي ان كل مجتمع يتميز عن مجتمع اخر بمقومات ثلاث الشخص، الشيء، الفكرة عبر مراحل تاريخية تعرف بقبل التحضر الدورة الحضارية وبعد التحضر. الا انه مغاير بالنسبة للمجتمع الإسلامي فهو يعيش مرحلة بعد التحضر منذ العصر الأول إلى سقوط دولة الموحدين.

يبدأ تطور المجتمع بالمرور بمراحل ثلاثة متداخلة الشيء، الشخص والفكر والتي لها دور كبير على مستوى الأخلاق والأفكار التقنية التي تؤثر على سلوكيات وفكر المجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى. ما يميز تخلف مجتمع ما راجع فهو راجع إلى افتقاره للأفكار وكيفية تعامله مع الوسائل الموجودة لديه وعدم القدرة على استبدالها بأخرى كذلك عدم وجود اسلوب في طرحه للمشاكل.

وحسب علماء الاقتصاد فمشاكل العالم الثالث لا تحل الا باستثمارهم للأرض بغية تجاوز المرحلة البدائية كما كان الحال في الصين الشعبية منذ عام 1951.

اما مالك بن نبي فقد حلل ذلك على الصعيد النفسي والاجتماعي والتاريخي بالرجوع إلى مرحلة المجتمع قبل التحضّر، مرحلة المجتمع المتحضر وبعد التحضر حيث يقول ان الخلط بينهم يولد فسادا على الصعيد الفلسفي الأخلاقي، الاجتماعي والاقتصادي لذا لا بد من التمييز بينهم:

فمرحلة بعد التحضر بكل بساطة هي عندما يكون مجتمع ما يواصل سيره على طريق حضارته قبل التحضر وتكون الأشياء فيه نفسها بدائية.

اما من ناحية الأشخاص فيقول مالك بن نبي ان المجتمع الجاهلي المنغلق، انحصر في حجم قبيلة أفكاره تمثلت في تحرير القصائد والمعلقات يتغنى فيها الشاعر بانتصارات قبيلته بكل فخر او البكاء على الاطلال. وبعد مجيء الإسلام ونزول اول آية قرآنية "اقرأ " ظهر مجتمع جديد يتبع العالم والتاريخ وهدم أفكاره الجاهلية ليبني عالما ثقافيا تتمحور فيه الأشياء حول الأفكار، ومن هنا يجد المجتمع الإسلامي نفسه بعد قرون ضمن عصر ما بعد الحضارة مبني على العقل والوعي.

يعتبر مالك بن نبي الحضارة على أنها نتاج فكرة جوهرية يتبعها مجتمع للتقدم في التاريخ وفق محيطه الثقافي الأصلي الذي ينحدر منه، محدّدا فيها الخصائص التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، فالأفكار تلعب دورا اساسيا في اندماج مجتمع ما إلى التاريخ، فالفرد الذي هو جزء من هذا المجتمع يحقق ذاته وفق ارادة وقدرة نابعتين من ذاك المجتمع فأي انقطاع او انعزال عن الجماعة يولد قشة ضعيفة.